

حركة توجيه العلوم الانسانية وجهة اسلامية فى باكستان

محمود أحمد غازى

(١) توطئة (١) :

ان العبودية الفكرية التى سلطها الغرب على عقول المسلمين وأذهانهم قد غيرت عقلياتهم وذهنياتهم تغييرا جذريا زعزع كياناتهم الفكرى و أوشك أن يقضى على وجودهم الحضارى ، والمؤسف أن المسلمين - أو على الأقل أغليبيتهم الغالبة - لم يدركوا مدى خطورة هذه العبودية، اللهم الا شردمة قليلة من الناس الذين رأوا حقائق الأشياء كما هى ونظروا الى الأمور فى منظورها الحقيقى ، وأنذروا قومهم من الخطر الذى أحدق بهم .

وأما الاغلبية الغالبة من اخواننا المسلمين فقد تجاهلوا هذا الاستيلاء الفكرى ورحبوا بالتغلغل الحضارى الذى ترك آثارا كثيرة فى تفكير المسلمين وأنتج نتائج كبيرة هددت حياتهم الثقافية وأحدث تغييرات جبارة أثرت عيشتهم الحضارية . وهذه الآثار والنتائج لم يعرفها التاريخ الاسلامى ، ولم تأنسها الحضارة الاسلامية . وقد راجت بسبب ذلك بين المسلمين آراء لم يكن الرعيل الاول من المسلمين يعرفها ، وقد انتشرت بينهم افكار لم يكن للسلف الصالحين عهد بها،

وقد ظهرت بينهم عادات وأعراف لا تتناغم مع المثل الحضارية
الاسلامية .

وليس السبب فى وجود هذا الوضع كله أن المسلمين اختاروا كل
هذه الاشياء بعد تفكير جاد ودراسة نقدية ، أو تدبروا الآراء والنظريات
الغريبة وتفكروا فيها وأمعنوا النظر فيها ، ثم وجدوها مفيدة لهم ، ولم
يجدوا لها بديلا فى الفكر الاسلامى ، أو امتحنوا هذه الآراء والافكار
على محك العقل والمنطق ، فروعاً أنها قابلة للقبول فقبلوها ، أو رأوا
فى هذه العادات والأعراف فلاحاً للمجتمع وصلاحاً للبشرية ، فجعلوها
أسوة لأنفسهم وقدرة لقومهم .

كلا ، ليس الأمر كذلك ، بل السبب كله يرجع الى الخضوع
الفكرى والاستسلام الثقافى والعبودية الحضارية التى يعانى منها
المسلمون ، والتى جعلتهم يتهافتون على كل ما انتسب الى الغرب ولو
نسبة خيالية زائفة ، ويهرعون الى كل ماورد من البلاد الأوربية
والأمريكية .

٢) الوضع الحرج

ان من جراء هذه العبودية الفكرية والاستسلام الثقافى أننا نرى
عالمنا الاسلامى اليوم فى وضع حرج : وهذا الحرج ذو نواح عديدة :
حرج فى التعليم ، حرج فى الفكر حرج فى الثقافة ، حرج فى
الحضارة . أما من ناحية التعليم فنرى أن نظام التعليم الذى ورثناه من
الغرب انما هو نظام أعور وليس بنظام بصير بصارة كاملة . فلا يرى
الاشياء بعينه ، بل يراها بعين واحدة ، ويجعل أبناءه يرون الاشياء
بعين واحدة . فعالم الكيمياء لا يرى حقائق الاشياء كما هى ، بل يراها
كما يريه اياها علم الكيمياء المدوّن فى الغرب ، ويتجاهل الاخلاق و
الآداب والحقائق الدينية . وذلك لأن أهل الغرب لا يعالجون الحياة
ككل متناسق الاجزاء ووحدة متكاملة ، بل يعالجونها فى أجزاء متفرقة ،
لاصلة لبعضها ببعض . فالتعليم عندهم عبارة عن نقل مجموعة من

المعلومات الى الطالب وايقافه على طائفة من الحقائق المتعلقة بفن من الفنون أو علم من العلوم بغض النظر عن النواحي الفكرية والتربوية الاخرى . فأصبحت مراكز التعليم عندنا تحت التأثير الغربى خالية من العواطف الروحية . وعاد الجيل الذى نشأ فيها مظلم الروح كليل البصر ضعيف اليقين ، وأصبح شبابنا المسلم على أيدي ولاة التعليم الحديث شيئا ضائعا . فكان على حد قول شاعر الاسلام محمد اقبال مثل فراخ الصقور فربوه تربية بغاث الطيور ، وكان مثل أشبال الاسود فجعلوا منه ضعاف الخروف .

وأما من ناحية الفكر فنرى فى عالمنا الاسلامى طبقة غير صغيرة تعاني من الحاد فكرى رهيب وانحراف عقلى مهيب . وهذا نوع غريب من الالحد الفكرى والانحراف العقلى الذى لا يرى له مثل ولا نظير فى التاريخ الاسلامى . فان المسلمين واجهوا كثيرا من الأزمات الفكرية فى تاريخهم الطويل . ولكننا لم نر أزمة فكرية أثرت على عقول المسلمين وأذهانهم تأثيرا يبلغ فى سعته وعمقه ما بلغه تأثير الالحد الفكرى الغربى على عقليات المثقفين من أبناء العالم الاسلامى .

(٣) أول أزمة فكرية فى تاريخ الاسلام

لعل أول أزمة فكرية واجهها العالم الاسلامى فى صدر تاريخه ظهرت ببداية تراجم الأداب الاغريقية والفارسية والهندية الى اللغة العربية ، حيث ظهرت قضايا جديدة ومتنوعة، وبدأت مناقشات فلسفية معقدة، وقام جمع من أهل العلم ببحوث ودراسات فى مسائل الالهيات وماوراء الطبيعة وكانت طبيعة الاسلام العلمية وتعاليمه السهلة البيضاء التى ليلها كنهها لا تقبل هذه المناقشات اللاغية الفارغة التى لا تغنى من شئ ولذلك نرى كتاب الله الحكيم المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خاليا عن هذه المباحث

العقلية التي شبهها محمد اقبال باللات والمنات . ولذلك لما خطرت
 ببال بعض الصحابة أسئلة عن مثل هذه القضايا منعهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فى الخوض فيها و اضاعة الوقت فى البحث عنها
 والمناقشة فيها . فان البحث الذى لايجدى والمناقشة الفلسفية العقيمة
 فى بدء الذات الالهية وحقيقتها ومبدأ قدرتها ومنشأ حكمها وملكها
 هى كلها من وساوس الشيطان . والذين يضيعون أوقاتهم ومواهبهم فى
 الأقاويل اللاغية والمجادلات اللفظية فى قضايا دقيقة مثل قضية القدر
 خيره وشره شبههم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجوس هذه الأمة .

وقصارى القول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بتربية
 المسلمين تربية جادة وتدريبهم تدريبا عمليا لمعالجة هذه القضايا
 وأمثالها . فأصبحت لجيل الصحابة ومن تبعهم عقلية اسلامية خالصة
 صيغت فى الصيغة النبوية وقلبت فى قالب الوحي والرسالة . فلما
 واجهت هذه العقلية قضايا الفلسفات اليونانية والمصرية القديمة لم
 يتأثر بها ذوها ولم يشعروا بأى انهزام فكرى وتقهر عقلى وخيبة
 علمية أمام هذه الفلسفات ، بل انتقدوها انتقادا علميا، وعاملوها
 معاملة الجوهرى الخبير الذى يميز الخبيث من الطيب و الفاسد من
 الصالح . ويجتنى مافيه خير له وللمجتمع، وقاموا بعملية جراحية على
 هذه الافكار الجديدة . وأخرجوا منها أجزاءها الفاسدة واستخدموا
 الباقي فى خدمة الاسلام والمسلمين . وكانت هذه العملية الجراحية
 عملية طويلة المدى . واستمرت حوالى أربعة قرون . حتى جاء عهد
 الامامين الغزالي والرازى . ورأى العالم أن الفلسفة اليونانية انهارت
 انهيارا كاملا، وخرت للاسلام ساجدة .

(٤) ردة فكرية

أما من ناحية الثقافة والحضارة فيومئذ لنا أن نرى أنفسنا فى حالة
 يمكن أن نسميها نوعا من الردة أو نقول عنها انها ردة دون ردة ولعل

من القراء الكرام من يثيره هذا الاصطلاح أو ينزعج بكلمة الردة ولكن لا حاجة الى هذا الثوران و الانزعاج، فان كلمة الردة ليست بسب ولا شتم . بل هي اصطلاح اسلامى يشير الى حقيقة واقعية فليس مقصودنا من استعمالها أن نسب أحدا أو نشتمه ولكننا نريد أن نكشف عن واقع مؤسف ومؤلم . وهل للردة معنى غير الرجوع المتعمد عن نظرية الاسلام ومبادئه وتعاليمه؟ ولا شك أن كل من دعى بهذا اللقب فى الماضى أو قيل عنه أنه مرتد لم تختلف حقيقته عن ذلك : أنهم كانوا أناسا آمنوا بعقيدة واتخذوا لأنفسهم نظرية ونظاما وقبلوه كمبدأ . وكانوا على بينة من الأمر، وقبلوا ما قبلوا على علم وبصيرة، ثم رجعوا عن ذلك كله رجوعا تعمديا وارتدوا عنه، فسموا مرتدين .

فاذا علم أحد حقائق الاسلام الظاهرة، ثم أنكرها انكارا تعمديا، ورفضها رفضا فكريا، ونبذها وراء ظهره نبذا عمليا، وتخلت حياته عن المدنية الاسلامية فهل هذا الارتداد . وهل يجوز أن نتردد فى تسمية هذا الانكار والرفض والنبد والتخلى الحادا وارتدادا ؟ لان بين هؤلاء المنكرين آباؤنا وأبناؤنا ؟ وأصدقائنا ؟ وهل هذا التردد الا تردد فى الايمان بقول الله عزوجل : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .

٥) ثورة فكرية تصحيحية

فلا بد لمعالجة هذه القضايا الجبارة من ثورة فكرية تصحيحية تكون رائدة و فاتحة للثورة الاسلامية الحقيقية التى تقوم بالاصلاح الكامل الشامل فى جميع مجالات الحياة ونواحيها من العقيدة والفكر والثقافة والحضارة والتمدن ونستشهد هنا مرة ثانية بالتاريخ الاسلامى الذى يشهد أن العلم وأهل العلم هم الذين أنقذوا الأمة كلما أصابتها مصيبة علمية أو حلت بها مشكلة فكرية ، أو عانت من أزمة ثقافية . فعلماء الأمة مثل مضغة قلبها . ان صلحت صلح الجسد كله، وان فسدت فسد الجسد كله وكذلك العلماء اذا صلحوا صلحت الامة وعظم

شأنها وارتفع ذكرها وعلت مكانتها واذا فسدوا فسدت الأمة وقل شأنها وسقط ذكرها وانحطت مكانتها ، وصدق عليها قول الامام الشافعى :

وهل أفسد الذين الا الملوك

واحبار سوء ورهبانها

فالهدف الرئيسى الذى يجب أن تعمل من أجل تحقيقه جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والفكرية هو العمل الفكرى والمحاولة الثقافية العلمية لتجديد بناء المجتمع الانسانى المعاصر نظاما وسلوكا على دعائم اسلامية صالحة، و اعادة تشكيله حكومات وشعوبا فى ضوء تعاليم الاسلام . ولا يمكن تحقيق هذا الهدف الجبار الا بوسيلة حركة علمية فكرية عميقة شاملة تقوم بايجاد تغيير ثورى فى منهج التفكير، تغيير ثورى فى نظام التعليم وتغيير ثورى فى سير التأليف .

ولعل المغفور له محمد اقبال كان أول من تنبه فى شبه القارة الهندية الباكستانية للحاجة الشديدة الى التغيير الثورى الجذرى فى تفكير المسلمين ووضع خطوطا وقواعد لهذا التغيير المطلوب . فركز جهوده العلمية على نقد الفكر الغربى على محك الاسلام و الاشارة الى جوانب الضعف فى الثقافة والحضارة الغربية، فانتقدتها بكل صراحة وشجاعة، ودعا الى نبذ هذه الثقافة الالحادية العلمانية والاعتصام بالكتاب والسنة و اعتبار كل شىء ورد الينا من الخارج كالمواد الخام، نأخذ منها ما صفا وندع منها ما كدر. لنستعمل الجزء الصافى الملائم لحاجاتنا ونستفيد من تجارب الأمم الحية الراقية فى بناء مجتمع اسلامى حديث .

فلا بد لهذا الأخذ والرد من حركة علمية شاملة عميقة دائمة التنبه واليقظة، تنتقد كل علم وفكر ورأى على أساس الكتاب والسنة وتقوم على حد الاسلوب القرآنى بالمهيمنة على العلوم . وأشار محمد اقبال الى أهمية هذه العملية المستمرة قائلا: ,,ان واجبنا نحن هو أن نراقب

تطور الفكر البشرى بكل يقظة وانتباه ونحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية
تجاه هذا التطور، . (٢)

٦ جهود الدكتور محمد رفيع الدين

ولا شك أن جهود المغفور له محمد اقبال فى سبيل توجيه العلوم
الانسانية ووجهة اسلامية صحيحة جهودا رائدة وموفقة مهدت الطريق
أمام خلفه من المفكرين والعلماء الصالحين ليواصلوا السير فى هذا
الاتجاه . ولكننا لانعالج خدماته هنا لضيق المتسع و الوقت ، ولأن
هناك كتباً عديدة باللغة العربية تلقى ضوءاً وافياً على ما قام به من
مجهود فى هذا الميدان . وترجمت اغلبية مؤلفاته الى اللغة العربية
وكتب عنه الكثير فى لغة الناطقين بالضاد . فنكتفى فى هذه المقالة
الموجزة التى ارتجلناها ارتجالاً فى التعريف بجهود عالم تربوى كبير
ومفكر اسلامى بارز قام بدور جبار فى مهمة توجيه العلوم والمعارف
العربية ووجهة اسلامية، وضحى بنفسه ونفيسه فى هذا الجهاد المقدس
ولا يعرفه العالم العربى ولم يترجم له شئ الى اللغة العربية ولم يكتب
عنه شئ فى لغة القرآن . ولعل مقالتنا المتواضعة هذه هى الأولى من
نوعها التى تلقى الضوء على جهوده العلمية وجهاده الفكرى . ألا وهو
المغفور له الدكتور محمد رفيع الدين صاحب كتب قيمة ومؤلفات بديعة
ومؤسس المؤتمر الباكستانى العام للتعليم الاسلامى .

ولد الدكتور محمد رفيع الدين فى ولاية كشمير المسلمة فى عام
١٩٠٣ م وتوفى فى كراتشى - باكستان - فى حادثة المرور فى عام
١٩٦٨ م ، وكان من ابرز المفكرين الذين انتجهم العالم الاسلامى فى
القرن الرابع عشر الهجرى . كان رئيس مجمع اقبال العلمى ثم أسس
المؤتمر الباكستانى العام للتعليم الاسلامى . وألف عشرات الكتب
ومئات المقالات فى الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية ونقد الفكر
الغربى والحضارة الاوربية . نذكر هنا بايجاز خلاصة ما كتبه عن العلوم
الانسانية الحديثة وعن توجيهها ووجهة اسلامية صحيحة . وكان

المغفور له قد ألف كتابا رائدا في هذا المجال وهو : القرآن والعلم الحديث ، (٣) وذلك باللغة الاردوية، الى جانب غيره من الكتب والمقالات .

أ - الحجر الأساسى للعلوم الغربية

ان الحجر الاساسى للعلوم الغربية كلها وخاصة للعلوم الطبيعية والبيولوجية Biological والانسانية والفلسفات الوضعية المنطقية والسلوكية عند محمد رفيع الدين هو تصورهما للعلم والحقيقة . فالحقيقة عند أهل هذه العلوم هي مايمكن ادراكها بالحواس الخمسة، فكل مايمكن ادراكه بالحواس الخمسة فهو أمر حقيقى، وكل ما لا يمكن ادراكه بالحواس الخمسة فاما ليس بوجود أصلا أو هو كالمعدوم - والظاهر أن العلوم التي تطورت على هذا الاساس تكون عمارتها كلها منهارا منذ البداية من وجهة نظر الاسلام ولكن هذا رأى يبطل نفسه، فاذا فرضنا أن هذا الرأى صحيح ومنبى على الصدق والحقيقة فهذه الحقيقة المزعومة لم يدركها أحد بحواسه الخمسة كحقيقة علمية وانما هو تحكم وغطرسة (٤)

ان الانسان الغربى المعاصر عند محمد رفيع الدين يجهل القوة المحركة الحقيقية لاعمال الانسان ونشاطاته، وهذا الجهل قد أضل طريقه وأعماله الفردية والجماعية عن سواء السبيل وجعل الآراء الفلسفية والأفكار التي وضعها ودونها الانسان الغربى المعاصر مجموعة آراء منتشرة كانها اضغاث أحلام .

ان الفلسفات التي تعالج الانسان و أعماله تسمى فى الغرب بالعلوم الانسانية، وتدخل فيها علوم السياسة والاخلاق والتاريخ والقانون والتعليم والاقتصاد والمعرفة والنفس . وتسمى هذه العلوم بالعلوم النفسية أيضا . لانها كلها تبتنى على نظرية من نظريات الفطرة الانسانية وهكذا يمكن أن نعدّها فروعا لعلم النفس أو بالأصح علم الفطرة الانسانية . (٥)

ثم يقول محمد رفيع الدين :

ان الفلسفة السلوكية التى تدرس سلوك الانسان الظاهر وتدعى أنه هو موضوع علم النفس الحقيقى والفلسفة الوضعية المنطقية Logical Positivism التى نادى به المفكر الفرنساوى او غست كونت والتى تعنى بالظواهر و الأمور اليقينية فحسب وتهمل كل تفكير تجرىدى فى الاسباب المطلقة للكون والفلسفات السطحية الأخرى التى ظهرت فى عهد الانحطاط الفكرى كحشرات الأرض يرجع سبب ظهورها الى أن هوءلاء المفكرين لم يصلوا الى معرفة الأساس الوجدانى الحقيقى لجميع التجارب الانسانية الحسيّة (٦)

ان علماء النفس فى الغرب ظهروا وتربوا فى بيئة علمية تعتبر الحقائق الحسية ونظريتها الغير العقلية بداية لعلومهم ونهايتها، فى بيئة لاصلة فيها بين العلم وبين خالق الكون سبحانه وتعالى، فالنتيجة أن العلماء الغربيين لا يرون أى علاقة بين علم النفس ومعرفة الخالق فضلا عن ضرورة العبادة وتوطيد الصلة مع الله سبحانه وتعالى فى فهم اسرار النفس الانسانية وادراك حقائقها . بل انهم يفرون من تصوّر خالق بارئ لهذا الكون للمحافظة على مايزعمونه علما . حتى اذا اضطروا الى السير فى الاتجاه الذى يؤديهم فى نهاية المطاف الى الاعتراف بوجود الخالق نظرا الى الادلة القاطعة والحجج الواضحة وقفوا اثناء السير وحاولوا أن يفسروا الحقائق تفسيراً آخر يصرفهم عن الاتجاه القويم . (٧)

ب - معرفة الفطرة الانسانية الصحيحة :

ان جميع نشاطات الانسان تابعة لفطرته اوتتبع من فطرته فلا يمكن ان نفهم حقيقة نشاطات الانسان وبدايتها ومصدرها والهدف من وراءها و المقصود منها بدون أن نفهم قبل ذلك هذه الفطرة ، وكذلك لا يمكن بدون معرفة فطرة الانسان أن نحكم على حسن هذه النشاطات وقبحها والفائدة والخسارة منها .

ومعنى المعرفة لفطرة الانسان أن نعرف ماهى القوة المحركة الحقيقية لجميع أعماله، ومعنى هذا أنه لايمكن لنا أن ندون نظرية علمية منظمة مبنية على دليل معقول حول نشاطات الانسان بدون أن نعرف أولا ماهى الرغبة الحقيقية التى توجه أعمال الانسان وكيف يؤدي عدم معرفة هذه الرغبة الى ظهور شهوات جامحة تستولى على فكره وعقيدته وعمله وكيف تأتى من جرّاء هذه الشهوات مصائب عديدة ومتاعب متنوعة .

ومن الظاهر أننا اذا حاولنا أن نرتب علما يُعنى بعمل من اعمال الانسان أو نشاط من نشاطاته بدون معرفة عميقة لرغبته المحركة لها فتبوء هذه المحاولة بالفشل التام من أجل عدم معرفة هذه الرغبة الحقيقية وتكون العلوم المدوّنة على اساس هذا الجهل مظاهر تافهة للجهل وعدم المعرفة فالعلوم الانسانية الغربية كلها وضعت ودوّنت بدون اى معرفة عميقة للقوة المحركة الحقيقية لاعمال الانسان ونشاطاته فلا تعدو حالتها الآن من كونها مظاهر تافهة لجهل مدوّنيها وعدم معرفة واضعيها . (٨)

ان ما قاله محمد رفيع الدين عن العلوم الانسانية الغربية من كونها مظاهر تافهة لجهل و اضعيها ومدوّنيها يجد تأييده فى ما كتبه ميكدوجل أحد كبار علماء علم النفس فى الغرب - يقول ميكدوجل :

«ان جهلنا وعدم معرفتنا بالفطرة الانسانية كان ولا يزال مانعا كبيرا دون ظهور العلوم الاجتماعية و الانسانية ، مع أن هذه العلوم تعتبر ضرورة شديدة لعصرنا هذا ، وبدونها تواجه حضارتنا خطرا كبيرا للانحطاط بل الانهيار الكامل ، ولكم نكرر ذكر علم النفس وعلم الاقتصاد ، وعلم السياسة، وعلم القانون، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم الافتراضية . ولكن الحقيقة أن هذه الأسماء الجميلة لاتدل الا على فراغ كبير فى مجال العلم والمعرفة وتهدينا هداية ضئيلة الى صحارى قاحلة وسبعة الثغور مترامية الاطراف غير المسكونة التى لم

توطاً ولم يسحها أحد، ولكن اذا قدّرت لحضارتنا الحياة فلا بدلنا من أن ننظم هذه الصحارى بموجب نظام ومبدأ وأدعى أننا نحتاج الى قدر اكبر مما نحن عليه حتى الآن من معرفة الفطرة الانسانية والحياة الاجتماعية لاعادة التوازن فى حضارتنا هذه فهذه هى السبيل الوحيدة وهذا هو المنهج الوحيد الذى يمكن به أن نعالج الوضع الخطر الذى يزداد خطورته كل يوم ونقضى على الشك وعدم اليقين الذى تعاني منه حضارتنا اليوم - فيجب علينا أن نطور علومنا الانسانية والاجتماعية بكل جهد وعناية ونرتبها كعلوم حقيقية ومعرفة صادقة لفطرة الانسان و نشاطاته والحاجة الماسة التى نشعرها اليوم لاكتشاف الحقيقة الاساسية للعلوم الانسانية و الاجتماعية وتطوير منهج علمى صحيح لتدوينها لم تكن اشد من الآن فى يوم من الايام الماضية .

ج - مكانة النبوة والعبادة فى المعرفة الانسانية

يتضح من كل ما ذكرنا ان الجهل بالفطرة الانسانية الصحيحة يحدث نتائج سيئة للنوع البشرى كله، ويمكن بذلك أن نفهم بسهولة لماذا يعتبر ميكدوجل هذا الجهل بالفطرة الانسانية خطرا جسيما لحضارته العظيمة . ولاشك أن رأيه هذا صحيح ، فانه لايمكن تدوين العلوم الانسانية والاجتماعية واكتشاف المنهج الصحيح القديم لهذا التدوين بدون معرفة الفطرة الانسانية الصحيحة وهذه هى النقطة المركزية التى تدور حولها هذه العلوم وهذا هو الاساس الذى تنظم عليه هذه العلوم .

ولكن ميكدوجل لم يهتد الى السبيل المستقيمة لاكتشاف هذه النقطة المركزية، فان الشرط الاساسى لهذا الاكتشاف هو دراسة الانسان نفسه بمعرفة نفسه، ولايمكن معرفة النفس الا بتوطيد الصلة بالخالق بعبادته وطاعته، والطريق الوحيد لتوطيد هذه الصلة هو اتباع

ان العلم بالفطرة الانسانية بماله من أهمية بالغة فى حياة الأمم وتطور الحضارات على أسس سليمة أمر تعتبره الاديان السماوية والشرائع الالهية فى منتهى الأهمية، والطريق الى هذا العلم طريق وعرضب جعجاج يصعب على الانسان أن يسلكه بدون أى هداية الهية، ولذلك شاءت مشيئة الله الرحيم الرؤف بعباده، أن يبعث أكثر من مائة ألف نبي لتتوير هذا الطريق الصعب وتسهيل هذا المسلك الوعر، ثم ختمهم بخاتم الانبياء وآخرهم الذى جاء بخلاصة تعاليم ماسبقه من الانبياء وأعلن للنوع البشرى كله : يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم .

وهذا العلم يختلف عن غيره من انواع العلوم فالعلوم الأخرى يمكن التقدم فيها بالتجارب الخارجية والفكر والاستدلال المنطقى، ولكن هنا فى هذا المجال من العلم فنحن لانواجه المظاهر الحيوية والمادية والخارجية لحقيقة الكائنات، بل نواجه هنا الحقيقة بنفسها، فلا بد لمعرفة الفطرة الانسانية من اتصال ذاتى روحى بالحقيقة نفسها التى هى المقصود والمطلوبة والهدف للفطرة الانسانية . وهذا الاتصال الذاتى بحقيقة الكائنات القصى هو مايسمى فى الاصطلاح الشرعى الدينى بالعبادة، وبها يمكن أن يصدق الانسان تصديقا شخصيا بوجود المقصود الاصلى للفطرة الانسانية ومطلوبها الحقيقى، وذلك بان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (١٠)

د - تأثير الفكر الغربى فى عقول المسلمين

ان السبب الرئيسى لانحطاط الاسلام عند الدكتور محمد رفيع الدين هو انتشار الآراء الفلسفية الخاطئة للغرب التى بثت آثارها فى جميع انحاء العالم وتأثر بها المثقفون منا وغير المثقفين على حدّ سواء، ان هذه الآراء الخاطئة أثرت فى عقليات المسلمين عن طريق مباشر وغير مباشر، وتأثر بها المسلمون شعوريا ولا شعوريا، وأدى هذا التأثير والتأثر الى القضاء على كل ماكان قد بقى فى قلوبنا من حب

الاسلام، كما تسلب جراثيم مرض خفى مزمن صحة الانسان وقوته
الجسدية ويفاجئه العلم بأنه قد أصبح على شفرة من المهلاك . (١١)
ويقول الدكتور محمد رفيع الدين :

كان الناس فى ماضى يهاجمون الاسلام مهاجمة علنية مباشرة،
اما سلاح دينى أو سلاح فلسفى ، ولكن هذه الاديان الباطلة أو
الفلسفات الباطلة كانت تخوض المعركة ضد الاسلام خوض الأبطال،
وكان المسلمون يدافعون عن هجومها دفاع الابطال فى ساحة القتال،
المفتوحة ، فكلما هاجم دين باطل على الاسلام هاجت غيرتنا الدينية،
واشتد غضبنا على العدو، واستشاط كل منا وهاج هائج للقيام بواجب
الدفاع عن الدين، وكنا لانشك مثقال ذرة أن الاستهانة فى هذه
المعركة عبارة عن الاحجام عن العدو والتعاس فى المعركة . ولكن
الآن قد تقلب الأمر، فاصبحنا لانبالي بمهاجمة الاعداء ، ولا تهيج
غيرتنا الدينية ، ولا يشتد غضبنا على العدو، ويرجع سبب ذلك الى أن
الردة الآن لم تعدرّة واضحة علنية مفتوحة ، بل أصبحت ردةً مخفية
لا ييوح بها صاحبها، بل ولا يشعر بها فى أكثر الاحيان .

وذلك لأن الكفر تسليح سلاح الفكر الفلسفى الغربى وهاجم على
الاسلام مهاجمة عنيفة زعزعت كيان الفكر الاسلامى وشتتت صفوف
المسلمين فى معركة الفكر والحضارة . ويبدو كان الغرب قد أعجز
خصومه فى هذا المضمار وقد بان شأوه على خصمه . فنرى أن ملايين
المثقفين من المسلمين انتزعهم الغرب عنا ولا زال ينتزع الملايين كل
يوم وكل ليلة ، وهذا الوضع المؤلم قد أدى الى خطر جسيم لحياتنا
الجماعية، ولكن ماهو أدهى وأمر أن المسلمين لم يبدأوا محاولة جدية
مدروسة لسدّ هذا السيل الجارف والقضاء على هذه المصيبة المحدقة .
ولاشك أن هذا النوع من فتنة الردة الجماعية لم تحدث فى تاريخ
الاسلام ، ولم يرتكب المسلمون جريمة اللامبالاة بحسامة الفتنة كما
ارتكبوها بالنسبة لهذه الفتنة (١٢) .

٥ - مصدر الردة الفكرية

ان مصدر هذه الردة الفكرية هي العلوم الاجتماعية و الانسانية والبيولوجية التي أساسها على الافكار الفلسفية الغربية الخاطئة و التي من ائمتها دارون وميكدوجل وفرونيديو أدلر و كارل ماركس وميكيافلى وغيرهم .

وهؤلاء الائمة الستة للفكر الغربى الحديث هم الذين انتقدهم رفيع الدين فى كتابه القيم القرآن و العلم الحديث ،

ان الدكتور محمد رفيع الدين انتقد انتقادا بالغا على روساء المفكرين الغربيين الذين كتبوا فى علم النفس ووجه اليهم اعتراضات علمية قوية يصعب على مؤيديهم أن يردو عليها ردًا علميا مقنعا . منهم فرونيديو وتلميذه أدلر، وميكدوجل ، وواتسون واضع علم النفس السلوكى Behaviourism وسارتر أكبر زعماء الوجودية فى هذا العصر، نورد بعض هذه الاعتراضات التى وجهها الى فرونيديو أحد أئمة علم النفس الغربى، وذلك كمثال لمعالجته للمفكرين الغربيين .

٦ - انتقاده على فرونيديو

يرى فرونيديو كما هو المعروف أن العامل الحقيقى و المحرك الأساسى لأعمال الانسان ونشاطاته هو غزيرته الجنسية التى مركزها العقل اللاواعى للانسان، وكل مايقوم به الانسان من عمل ونشاط يكون هدفه المباشر أو غير المباشر ان يطفىء شهواته الجنسية الغير المحدودة وأما السوء ال الذى يوجه الى فرونيديو: ماهى مكانة حسب المثل العليا فى الفطرة الانسانية ولماذا نرى ان المثل العليا هى التى تحكم جميع اعمال الانسان ولا تحكمها الغزيرة الجنسية؟ فيجيب فرونيديو على هذا ويقول ان المثل العليا لامكانة لها فى حد ذاتها بل هى صورة متغيرة للغزيرة الجنسية ، فان الانسان اذا لم يقدر على اطفاء شهواته الجنسية خوفا من الحدود والقيود التى فرضها عليه المجتمع فيحاول أن يحفظ نفسه من الانتشار الذهنى و الحزن والعار، ويفترض خلال هذه المحاولة

أنه يحاول لتحقيق هدف علمي أو أدبي أو ديني أو يتعلق بحاسته الجمالية ، وهكذا تتجلى غزيرته الجنسية في مظهر هذا الهدف الاسمي (١٣) .

ان الانسان فى نظر فرويد ، كما صوره لنا الدكتور محمد رفيع الدين، لا يعدو الا ان يكون حيوانا غلبت عليه شهواته الجنسية الجارفة، ويضطر الى ان يختار أحد هذه الطرق الثلاث :

(١) اما أن يحقق آماله الجنسية الكامنة فى شعوره وفى لا شعوره ، المنبثقة من عقله الواعى وعقله اللاواعى بكل حرية وبدون أى قيد أو حد ولا يبالى بما يقوله المجتمع فيه ، فعليه أن لا يعبأ بأراء المجتمع فى هذه الشهوات .

(٢) أو أن يكبت هذه الشهوات القوية العنيفة خوفا من المجتمع ويعانى من أمراض نفسيه شديدة تظهر من جرّاء هذا الكبت، وهى الجنون والهستريا والخوف والانتشار الذهنى .

(٣) أو يصرف عنايته عن رغباته الجنسية الشديدة ويحولها الى نشاطات أخرى كالدين والاخلاق والآداب ويخدع نفسه ويذكر دائما أن هذه النشاطات لا حقيقة لها ولا تعدو الا ان تكون وهما لا قيمة له، وليست الا وسائل تخدير العقل وخداع النفس المبتلاة بالآلام . (١٤)

بما ان فرويد يتجاهل المكانة الصحيحة الحقيقية للهدف والمثل العليا فى الفطرة الانسانية ظهرت من جرّاء هذا التجاهل عدة نقائص ومواطن ضعف فى نظريته هذه علميا وعقليا، وترد عليها عدة اعتراضات وجيهة، مثلا :

- ما الدليل على أن المثل العليا لا حقيقة لها، بل هى صورة متغيرة للغزيرة الجنسية، فمادام ليس هناك دليل على هذه الدعوى فلم لا نقول أن رغبة الانسان لتحقيق مثله العليا هى الرغبة الحقيقية الاساسية وليست صورة متغيرة للغزيرة الجنسية، ومن العجب أن فرويد لا يبالى بهذه المشكلة التى يواجهها فى سبيل اثبات دعواه، ولكنه يبنى

نظريته كلها على هذا الاساس الضعيف الغير الثابت الذى لايزال يحتاج الى اثبات .

- ليس من المعقول أن تتحول الشهوات الجنسية التى لا يقدر الانسان على تطمينها خوفا من المجتمع بل يُخفى حتى تصوّرها وخيالها ويعتبرها جريمة من الجرائم الاخلاقية ، كيف تتحول هذه الشهوات الجنسية الى مثل عليا دينية طاهرة أو اهداف أدبية عالية ؟
- اذا كانت الآمال والأمانى الادبية والدينية الطاهرة صورة أخرى

للغزيرة الجنسية فكيف تصبح طاهرة بعد ان كانت نجسة ؟

- ولماذا لا تتحول الى غزيرة أخرى نجسة كالغزيرة الجنسية ؟

- لماذا تحاول الآمال الأدبية والأمانى الدينية عند الانسان ان

تكبت غزيرته الجنسية على الرغم من أنها وليدة هذه الأخيرة ؟

- ما الذى يجعل الانسان يتنازل فى كثير من الاحيان عن تطمين

حاجاته الجنسية الشرعية ليضحّيها فى سبيل المثل العليا ؟ فكثيرا ما

نرى الانسان يرفض ان يتزوج تفرغا لتحقيق مثل عليا .

- اذا كانت الغزيرة الجنسية تتحول الى مثل عليا فلماذا لا تتحول

غزائر الانسان الأخرى، مثل غزيرة الغذاء، غزيرة حب الاستيلاء،

غزيرة الانقياد، غزيرة الغضب، غزيرة الأمومة وما اليها، الى اشياء

أخرى ؟

- لما كانت الغزيرة الجنسية موجودة فى كل واحد من الانسان

والحيوان فلماذا تتحول فى الانسان الى مثل ولا تتحول فى الحيوان ؟

- ان الانسان يشعر بالراحة والمسرة والاطمئنان بتحقيق آماله

الفطرية وأمانية الطبيعية ورغباته الجبليّة، فلو لم تكن رغباته الادبية

وآماله الاخلاقية وأمانيه الروحية ورغبات جبليّة وآمال فطرية وأمانى

طبيعية لما شعر أحد فى تحقيقها أى راحة ومسرة واطمئنان ، وهذا غير

ما نشاهده كل يوم .

- نرى الناس يحبون تحقيق هذه الرغبات ولا يعيشون الا لتحقيق

مثلهم الأدبية العليا، فلو كانت عبارة عن امانى غير الفطرية لما أحبها اصحاب عقول سليمة وطباع سديدة .

فهذه هي اعتراضات عشرة يوردها محمد رفيع الدين على آراء فرويد النفسية . وله اعتراضات مماثلة على آراء أدلر وميكدوجل وغيرهم وغيرهم (١٥) -

ان نظرية فرويد النفسية جزء من المناهج والمقررات التعليمية فى جميع الجامعات الغربية، و ألفت فيها آلاف الكتب باسم علم النفس الحديث، ولا يزال جمع كبير من المؤلفين يؤلفون فى مختلف نواحيها . وأدى انتشار هذه النظرية وشيوعها فى عالم الغرب الى انحلال القيود الأدبية والاخلاقية التى وضعها الدين والمجتمع وانتهى المطاف بالمغرب الى ظهور اباحية جنسية لانظير لها فى تاريخ الأمم والشعوب ويظن عامة الناس أن القيود المفروضة على الرغبات الجنسية تضر بصحة الانسان وتسئ الى سلامة عقله ، وتنشأ منها امراض ذهنية ونفسية ، والتمسك بهذه القيود يعتبر عند اهل الغرب الآن نوعا من المحافظة الخطيرة التى تقاوم كل نوع من التجديد والتغيير والتحرر . (١٦)

٧ الجهود الجماعية

هذا هو الهدف الاسمى الذى يجب أن يكافح من أجل تحقيقه أجيالنا المثقفة، ويعكف عليه علماءنا المخلصون ، ويركز عليه جهودهم مفكروننا الصادقون. وهذا هو الهدف الأسمى الذى يكافح مجمع البحوث الاسلامية من أجل تحقيقه على مستوى بسيط متواضع . ومما ترتاح اليه نفوس العاملين بالمجمع أن العالم الاسلامى بدأ يشعر بأهمية هذا العمل الضخم الجبار على نطاق أوسع وأشمل، وبدأت المجمع العلمية والمؤسسات التعليمية باتخاذ الخطوات اللازمة فى هذا الاتجاه هذا وقد وتبنت الجامعة الاسلامية العالمية باسلام آباد هذا الهدف منذ تأسيسها فى غرة القرن الهجرى الجديد . فينص المرسوم

الرئاسى الذى أصدره رئيس الجمهورية الباكستانية لاقامة هذه الجامعة أن الجامعة سوف تعمل لتطوير نظام تعليمى اسلامى يجمع بين الاصاله الاسلاميه الحقيقيه وبين مقتضيات العصر الحديث لىؤدى حاجات الأمة الاسلاميه الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه والفنيه والطبيعيه والفكرية والجمالية فى ضوء تعاليم الاسلام الحقه وأحكام الشريعة الغراء . وسوف تعمل هذه الجامعة لتجديد بناء الفكر البشرى بكل انواعه على أسس اسلامية صحيحة .

فبدأت الجامعة الاسلاميه ومعها مجمع البحوث الاسلاميه (الذى أصبح الآن جزء من الجامعة وفق المرسوم الرئاسى) تتخذ خطوات موفقه لنيل هذا الهدف . وكان من هذه الخطوات قرار مجلس أمناء الجامعة أن تعقد ندوة دولية بالتعاون مع العهد الدولى للفكر الاسلامى الذى أسسه فقيه الاسلام الشهيد الدكتور اسمعيل راجى الفاروقى للبحث فى أساليب توجيه المعرفة والعلوم الحديثه ووجهة اسلامية وتدوينها من جديد على أساس الاسلام .

وانعقدت الجلسة الافتتاحية للندوة فى الرابع من يناير ١٩٨٢ م تحت رعاية الرئيس الباكستانية محمد ضياء الحق الذى ألقى خطبته الافتتاحية، وأشار فيها الى أهمية هذا العمل فى المسيرة التى بدأتها باكستان لتطبيق الشريعة الاسلاميه . وبعد أن بدأت الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم تقدم العالم التربوى الباكستانية الشهير والمؤرخ الكبير الدكتور نبى بخش بلوش مدير الجامعة الاسلاميه آنذاك وألقى خطبة الترحيب . وبعد أن ذكر فيها بعض الخطوات الهامة التى اتخذتها باكستان فى سبيل تطبيق الاسلام خلال السنوات العديدة الفائتة، قال : ان جميع النتائج المطلوبة لهذه الخطوات لاتظهر الا بعد أن نحدث تغييرا جذريا فى تفكير المثقفين ووجهة نظرهم، ولئن كانت النتائج التى ظهرت لهذه الخطوات المباركة جديرة بالذكر والشكر ولكن المنشود أكبر بكثير من الموجود .

وقال : أن الشعور بأهمية تطبيق النظام التعليمي الاسلامى هي الخطوة الاساسية التي سوف تضمن نجاح الخطوات الأخرى . والعالم الاسلامى بدأ ، والحمد لله ، سيره السريع المدروس نحو هذا الهدف . وكان للمؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى الاول المنعقد فى مكة المكرمة دورا رائداً فى بدء هذه المسيرة المباركة . وبرزت فى هذا المؤتمر كثير من المسائل والقضايا المتعلقة بهذه العملية الجبارة . وشعر المشاركون فى هذا المؤتمر أن الخطوة اللازمة لتطوير نظام تعليمى اسلامى منشود هي اسلامية العلوم و اسلامية المعرفة . وهذه الأزمة التعليمية التي يعانى منها العالم الاسلامى كله هي النتيجة المنطقية لسيطرة العلم العلمانى المنهج والمعرفة الالحادية المحتوى . وأكد هذا الشعور المؤتمر العالمى الثانى للتعليم الاسلامى المنعقد فى مارس ١٩٨٠ م باسلام آباد - باكستان - تحت اشراف جامعة القائد الاعظم .

ثم تقدم المغفور له الدكتور اسمعيل راجى الفاروقى، مؤسس المعهد الدولى للفكر الاسلامى وألقى كلمته الرائعة التي ذكر فيها استراتيجيته المقترحة للبدء فى هذا العمل الضخم، أى اسلامية العلوم وتوجيه المعرفة وجهة اسلامية، وشرح فيها تسع خطوات، وخمسة مشاريع لانجاح هذه المهمة الصعبة، وأعد ميزانية لمدة خمس سنوات، ولا شك أن كلمة الدكتور الفاروقى كانت من أهم بحوث الندوة .

ثم تقدم السيد الله بخش بروهى رئيس الجامعة الاسلامية آنداك ومؤسسها وأحد كبار رجال القانون فى العالم المعاصر وألقى خطبته القيمة التي اعتبرت اساسا لجميع المباحثات والمناقشات فى هذه الندوة . وركز السيد بروهى كلامه على الفرق بين علم الحق وعلم الباطل وبين العلم النافع والعلم الضار، فان العلم المطلوب المستحسن فى الاسلام هو علم الحق والعلم النافع وعلم حقائق الأشياء كما هي ، وليس المطلوب علم الباطل والعلم الضار وعلم ظواهر الاشياء فقط، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دائما علما نافعا واستعاذ بربه

من علم لا ينفع، فما ظنك في علم ضار .

وعالج رئيس الجامعة الاسلامية قضية العلوم الغربية والمذاهب الفلسفية التي ظهرت في أوروبا على مر العصور، وقال ان هذه العلوم والمذاهب الفلسفية تطورت في بيئة الحادية، وتحتوى على آراء وأفكار تصطدم مع الاسلام اصطداما ظاهرا وتخالف تعاليم الشريعة المطهرة مخالفة بديهية، وذكر بالتفصيل آراء داروين وفرويد وكارل ماركس، وأشار الى جوانب الضعف في هذه المذاهب الفكرية وركز على النواحي التي تختلف فيها مع الاسلام .

٨) موجز عن اعمال الندوة العالمية لتوجيه المعرفة وجهة اسلامية

ونظرا الى اهمية هذه الندوة نورد فيما يلى تقريرا موجزا عن أعمال الندوة وأهم البحوث التي قدمت فيها .

١ - استعراض :

حضر الندوة احد وعشرون عالما من خارج باكستان يمثلون عشر دول، وقد نوى خمسة علماء آخرون حضور الندوة ولكنهم لم يستطيعوا ذلك فأرسلوا بحوثهم، وكان ذلك بالاضافة الى جماعة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الاسلامية، كما حضر الندوة ثلاثة عشر عالما باكستانيا، وقد عالجت الندوة ودرست أربع عشر ميدانا من ميادين العلم والمعرفة المختلفة . وبالاضافة الى الكلمات التي القيت في الجلسة الافتتاحية التي سبقت الاشارة اليها قدمت الى الندوة ثمانية عشر بحثا ونوقشت ، وانعقدت أربع عشرة جلسة، تناولت ست منها جوانب الخطة العملية و الوسائل والأساليب التي ينبغي اختيارها لتوجيه المعرفة وجهة الاسلام، وتناولت باقى الجلسات الحقول العلمية المختلفة .

ب - أضواء على مباحثات الندوة :

(١) المشكلة : ركزت الندوة اهتمامها على المشاكل الرئيسية والاضاع الفكرية الحرجة التي تدعو الى توجيه المعرفة وجهة اسلامية و حاولت الندوة تحديد هذه المشكلة تحديدا دقيقا واضحا . فان الشكل الظاهر الواضح للمشكلة كما يتراءى لكل مراقب بصير هو ازدواج النظام التربوي والشخصية المنشقة (Split personality) التي تترعرع في هذا النظام . فمما لاشك فيه ان شبابنا المسلم متحمس لدينه في قلبه وضميره، وذلك بفضل التربية في البيت والبيئة والمدرسة الاساسية . ولكن التعليم الذي يحصل عليه في مرحلة التعليم العالي يحوّل العقلية الاسلامية ويفسدها فسادا تدريجيا دون أن يشعر به الطالب . ان العلوم الحديثة مبنية غالبا على مبادئ و أصول غربية في نشأتها وطبيعتها ، فهي نشأت لمواجهة أوضاع خاصة لاعهدلها بتاريخ المسلمين . وهي وضعت لتحقيق أمانى الحياة والأفكار والمطالب الغربية، ففلسفاتها وأساليبها العلمية ومناهجها الفكرية لاتنفك عن النظرة العامة للكون التي يدين بها أهل الغرب، فلا ينبغي لمسلم ان يتعلمها بدون الانتباه الى صلتها العميقة بالايديولوجية الغربية ولا بدون امتحانها على محك الايديولوجية الاسلامية وهذا أمر يتطلب من ابناء الاسلام أن يقوموا بتصحيح النظريات والاساليب والمقاصد المقررة لكل مادة من مواد العلم والمعرفة ثم يقوموا باعادة بناء نظريتها وهيكلها وفقا لمبادئ وقيم اسلامية .

لاشك أن ابعاد هذه المشكلة أعمق و أوسع من هذا - ان الركود الطويل الذي طرأ على عقول المسلمين عوّدهم على التفكير المجرد عن العمل أو على العمل الخالى عن التفكير، ولذلك شغل المفكرون المسلمون انفسهم بالتفكير النظرى، وقلما التفتوا الى الواقع التجريبي الحاضر، ولطالما اقتنعوا بدراسة المظاهر بعد وقوعها عوضا عن السبق

الى دراستها و الاستعداد لمواجهتها، وكذلك لم تندفع القيادة المسلمة الى التفكير والتدبير الانادرا وكانت أعمال القواد المسلمين عمياء أو مذبذبة خالية عن التأكد والتوثق من أهدافها، وكانت تقديرها ارتجاليا غير مبيّت، ان غرس العلوم الحديثة فى أرض العالم الاسلامى قد شوّش موقف قيادانا الفكرية والسياسية - ان هذه العلوم افترضت من البداية عدم ضرورة المسيحية كدين أو حتى كنظام الأخلاق وأفهمت المسلمين الملمين بها أن علمانيتها أمركونى لامندوحة منه وأن على المسلمين أن يتابعوا هذه العلوم بعد تعطيل عقيدتهم الاسلامية أو حصرها بين القوسين، ولذلك نجد الفارق البين فى العالم الاسلامى بين الفكر الاسلامى و سيرة المسلمين، وقد ظهر فى كل بحث عرض فى الندوة تقريبا اهتمام الباحث بهذه المشكلة -

ب- المبادئ العامة : خصصت ثلاث جلسات الندوة لمناقشة المبادئ العامة للتوجيه الاسلامى ، وقد ظهر الاتفاق على أن هذه المبادئ تنبثق من وحدة الحق أو المعرفة التى تفرض التوافق الكامل بين الفكر والعمل، ان الحقائق المستخرجة من الوحي كلها تؤيد وجود عالم وحياء وتؤكد على دور الانسان الفعال على الأرض، ويرى الاسلام أن الله تعالى أراد للانسان أن يعيش حياة كاملة وأن يسخر الطبيعة وينتفع بها ويشبع غزائره ويحقق كافة صلاحياته، ولكن يجب فى هذا كله مراعاة الأخلاق ومعايير العدل والقسط والنظرة الكونية العالمية والاحسان والتوازن والاعتدال والاقبال على الأمور النافعة والأخوة والأمانة والصدق والعفة والتعاون، والقرآن يعتبر المال خيرا ايجابيا، والعمل والتمتع فى الحدود المشروعة هى من أنواع العبادة - ولكن يجب أن لايتوسل الانسان بالخداع أو السرقة أو الاحتكار أو الاستغلال فى سبيل حيازة الأموال، والمسلم مسئول أمام الله تعالى و أمام الأمة الاسلامية بأسرها فى كل مايتصرف، فعليه أن يقود حياته بين الحدود التى شرعها الله تعالى - ولا يليق به الاستراحة قبل أن يحول

نفسه وأهله والأمة والانسانية جمعاء الى طريقة ترضى الله تعالى - ان هذه المبادئ هي من صلب الاسلام بالاجماع ولها صلة وثيقة بكل ناحية من نواحي الحياة ،

ج - الخطة العملية : ان الخطة العملية كما اتضحت من خلال مباحثات الندوة هي عبارة عن خطوات يجب اتخاذها لتوفيق فكر المسلم بالاسلام - وان الضرورة الأولى في هذا الصدد هو التعمق في تراث المعارف الاسلامية، والثانية هي التعمق في تراث المعرفة الحديثة، والثالثة هي تحديد نقائصها بالنسبة الى المثل الاسلامية، والرابعة والأخيرة هي اعادة بناءهما بحيث يتحقق التوافق والتجانس بينهما وفقا للمثل الاسلامية، ويمكن للعلماء المسلمين القيام بهذا العمل وينبغي لهم أن يقوموا به في خطوات قصيرة نسبيا في حدود مجال التخصص لكل واحد منهم وبحسب طاقاته وصلحياته، ولكن لا تتحقق هذه الغاية الا بالتعاون بين المجالات المتعددة وبين المؤسسات التعليمية المختلفة ويمكن الرجوع الى مقالة الدكتور الفاروقى الشهيد للاطلاع على تفاصيل هذه الخطوات -

(٣) التقييم :

ان الندوة حول توجيه المعرفة وجهة اسلامية قد توصلت الى نتائج قيمة :

أولا : انها جمعت بين علماء المسلمين من حول العالم كله ليتفاعلوا مع اخوتهم الباكستانيين ، وبعض من حضر من العلماء يمتاز في مجال تخصصه ويعتبر من كبار المختصين في مجالات عديدة على الصعيد العالمى بالاضافة الى مهارته فى العلوم الاسلامية ، وقد وفرت الندوة فرصة اللقاء والمناقشة لهؤلاء العلماء المتخصصين فى مجالات تخصصهم - وقد وجدت الجامعة الاسلامية فى هذه النخبة من أهل العلم والفكر ذخرا علميا عظيما -

ثانيا : أخرجت الندوة ثمانية عشر بحثا حول توجيه مختلف العلوم وجهة اسلامية وقد صدرت من أقلام علماء بارزين في مجالاتهم، ففي مجال الاقتصاد مثلاً أخرجت الندوة بحوثا وجمعت أربعة أشخاص من كبار علماء الاقتصاد الاسلامى فى العالم، وان بحوثهم سوف تفيدا الباحثين المختصين كمراجع قيمة ،

ثالثا : وفيما يتعلق بصلب الندوة - أى - توجيه المعرفة وجهة اسلامية - عرضت الندوة ووافقت على بيان حول التعريف بمفهوم هذا التوجيه وحول مبادئ اسلوبية وقواعد منهجية وحول أهداف توجيه العلوم وجهة اسلامية الذى لا بد منه لتطبيق النظام التربوى الاسلامى على النحو الصحيح -

رابعا : ان الندوة درست ووافقت على خطة عملية وضعت لتطبيق عملية التوجيه الاسلامى فى كل مجال من المجالات العلمية ولأجل تسهيل العمل واسرعه رأت الندوة توزيع عملية التوجيه الاسلامى الى ثمانى خطوات تؤدي وتنتهى الى اخراج مناهج دراسية على المستوى الجامعى - وهكذا يمكن انجاز العمل بالتعاون بين الاساتذة بحيث يركز كل واحد منهم على ناحية معينة من النواحي المتعددة للبحث المطلوب، وتختار الخطة - بشتى طرق - وسائل الاستعراضات والفهارس والمجموعات للقراءات المقترحة والتحليل النقدى لوضع الفن والتركيب الابداعى بين الفنون للتوفيق بين العلوم والمبادئ والقيم الاسلامية ،

سادسا: شعرت الندوة بحاجة جامعات المسلمين فى جميع أنحاء العالم الى وضع مناهج فى الحضارة الاسلامية، بما فيها الفنون الأساسية والعلوم الانسانية كما أدركت عدم توفر المواد الدراسية الموثوق بها فى هذا المجال، ونظرا الى ذلك قررت الندوة باجماع الرأى أن اخراج المواد الدراسية فى هذه المجالات هو أمر يحتل الدرجة الأولى من الأولوية فى هذه الاعمال التوجيهية، ورأت الندوة

أن الحاجة ملحة في الجامعات الحديثة العلمانية حيث يتعرض الشباب المسلم الى أفكار والايديولوجيات المنحرفة ، فلا يكون رصيدهم من النظريات الاسلامية الا بعض الأفكار الاساسية التي تلقوها في بيوتهم أم في المدارس دون المستوى الجامعي - ولا شك أن هذا الرصيد القليل والضعيف لا يكفي لمجابهة تأثيرات الايديولوجيات الغربية ولا لحمايتهم من ضلالات هذه الايديولوجيات -

هذا ملخص ما قيل في الندوة الاولى لتوجيه المعرفة وجهة اسلامية. نرجو أن تكون لهذه الندوة العالمية تأثير عميق في تفكير المسلمين، وتكون مقدمة لثورة علمية فكرية كبرى في عالمنا الاسلامي المعاصر. فان ظهور الروح الانتقادية في المفكر الاسلامي المعاصر ومعاملته مع الثقافة الغربية معاملة الجوهرى الخبير مع الأحجار والمعادن هو فاتحة خير وبشرى للعالم الاسلامي كله. وندعوا الله تعالى أن يوفق العلماء المسلمين وعلى الخصوص الذين تثقفوا منهم بالثقافة الغربية أن يرفضوا قيادة الغرب الفكرية ويحطموا امامته العلمية والحضارية ويثبتوا بالادلة القويمة والبراهين القاطعة أن انظمة الغرب الفكرية كلها فاسدة وباطلة، وأن الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية هي التي توفر وتضمن للبشرية مثلها العليا المنشودة وتهدى الانسان الضال الحائر على مفترق الطرق الى الصراط المستقيم والطريق القويم .

المراجع

- (١) هذه الفقرات ملتقطة من بعض ما سبق للمؤلف من الكتابات المطبوعة ، اختارها هنا لمالها من صلة عميقة بالموضوع .
- (٢) تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ، محمد اقبال ، (باللغة الانكليزية) ، طبع لاهور، المقدمة .
- (٣) طبع هذه الكتاب تحت اشراف معهد الثقافة الاسلامية بلاهور عدة مرات
- (٤) حكمة اقبال ، محمد رفيع الدين ، طبع لاهور ، ص ٤٥٠ - ٤٥١
- (٥) نفس المصدر ، ص ٤٦١

- (٦) نفس المصدر، ص ١٣
- (٧) نفس المصدر، ص ٤٦٥
- (٨) نفس المصدر، ص ٤٦١
- (٩) نفس المصدر، ص ٤٦٢ - ٤٦٣
- (١٠) نفس المصدر
- (١١) مقدمة كتاب «القرآن و العلم الحديث»، (باللغة الاردوية) ، الطبعة الثالثة ، لاهور، ١٩٥٩ م
- (١٢) نفس المصدر، ص ٣
- (١٣) حكمة محمد اقبال ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧
- (١٤) القرآن و العلم الحديث، ص ١٩ - ٢٠
- (١٥) حكمة محمد اقبال ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨
- (١٦) القرآن و العلم الحديث، ص ١٩ - ٢٠

